زينب فواز

من لم يسمع بذكر هذه النابغة العاملية في هذا القرن سواء في سوريا أو في مصر أو في سائر الأقطار العربية نعم ربما جهلها كثير من العامليين الذين لم يعرفوا عن نابغاتهم ولا عن نابغيهم شيئا مذكورا بل لم يفقهوا احوال بلادهم نفسها

هي زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي السورية مولدا وموطنا والمصرية منشأ وسكنا واسرة فواز مشهورة في تبنين في الوجاهة ولما كانت المترجمة ولدت في تبنين مقر حكومة علي بك الأسعد الشهير اتصلت في زوجته السيدة فاطمة التي ترجمتها في كتابها الدر المنثور ترجمة حسنة وتوات خدمتها ثم اتصلت بأخيها الأصغر خليل بك الأسعد وتزوجت برجل من حاشيته وقد رأيناه منذ خمس عشرة سنة في دار كامل بك الأسعد وهو آنئذ في سن السبعين واخبرنا البك المومى اليه أن هذا الخادم الشيخ تزوج بزينب فواز ثم طلقها لعدم امتزاج طبعيهما واتصلت في موظف عسكري مصري كبير (ميرآلاي) في قصة لم يتصل بنا تفصيلها فأحلها محلا كريما واتسع لها المجال في ذلك القطر السعيد فنالت شهرة واسعة في الكتابة والشعر والفت كتبا عديدة طبعت في مصر واصبحت قليلة النسخة لإقبال الناس عليها وأهم كتبها الدر المنثور في طبقات ربات الخدور وهو كتاب ضخم حوى ترجمة ٤٥٦ امرأة من فضليات النساء ما بين شرقية وغربية ومتقدمة ومتأخرة وفيه ترجمة عاملية واحدة وهي السيدة فاطمة المتقدم ذكرها أم السيدة زينب التي ذكرنا طرفا من شعرها ونثرها في العدد الماضي وقد قرظ الكتاب جماعة من الأدباء والأديبات منهم حسن حسني باشا الطويراني صاحب جريدة النيل وعائشة عصمت تيمور الشاعرة المعروفة وصاحبة الديوان المطبوع واخت احمد باشا تيمور العلامة اللغوي الكبير وقد قالت مقرظة الدر المنثور من عدة ابيات

سجدت لعزة بالبطيح فحول ... لما تحلى جيدها المصقول
لمعت لآلي العقد تزهو نضرة ... كصفا لجين راق فيه شمول
هنوا ذوات الخدر بالفوز الذي ... يعلو على سحب البها ويطول
ولقد علت طبقاتهن وزانها ... بتفاخر بعد الخمول قبول
طبقات منثور بريق ضيائها ... كشعاع شمس بالسها موصول

وقال الطويراني في تقريظه

بدا درها المنثور بالفضل زينب فياحبذا الدر النثير المرتب
جلت لعيون الفكر آثار حكمة عرائسها تزهو وبالفضل تخطب
حكى الفلك الأعلى فكل صحيفة به أفق فيها من الزهر موكب
حوى حسنات الدهر بين سطوره وقوّمها ذاك اليراع المهذب
فلا برحت للفضل بالفضل زينب تقول مقال الفاضلين وتكتب

وقال عبد الله افندي فريج ابياتا جاء في آخرها تاريخ الكتاب الهجري والمسيحي وهو

ابهي كتاب سما جاها لفاضلة بالسعد فيه بهي الدر منثور
١٨٩٣ ١٣١٠

وبلغت صفحات هذا الكتاب ٥٥٢ صفحة بالقطع الكبير وطبع بالمطبعة الأميرية الكبرى سنة ١٣١٢ ﻫ على ورق اصفر جيد والظاهر أن نسخه نفدت

وكتبت في اوله هذين البيتين

كتابي تبدى جنة في قصورها تروّح روح الفكر حور التراجم
خدمت به جنسي اللطيف وإنه لأكرم ما يهدى لغر الكرائم

ولها كتب ثلاثة اخرى نكتفي باعادة ما كتبناه عنها في المجلد الثاني من العرفان صفحة ٢٢٠ وهي . الرسائل الزينبية (١) — رواية الملك كورش (٢) — رواية حسن العواقب (٣) — أو غادة الزاهرة

حمل الينا بريد مصر هذه الرسائل الثلاث لمؤلفتها السيدة زينب فواز من نابغات الجنس اللطيف في العصر الحاضر وممن اعجب بادبها وفضلها كل من القى ببصره أثر آثارها التي اصبحت معروفة بين الناطقين بالضاد وهي سورية الأصل من احدى قرى جبل عامل هبطت مصر مهبط اهل الفضل والأدب فنالت بها المكان الاسمى والمنزلة العليا ولا يعرف الفضل إلا ذووه فكتبت على صفحات صحفها عدة مقالات ثم رأت أن تنظم نثيرها بكتاب واحد ففعلت ودعته (الرسائل الزينبية) واكثر ابحاثها في المرأة وحقوقها ومكانتها الاجتماعية واحر بها أن تبحث في شؤون بنات جنسها إلا أنها حذت في بعض مقالاتها حذو متطرفي نساء الغرب في المطالبة بمنح المرأة حقوق الرجل باجمعها وجعلها تتعاطى ما يتعاطاه من علم وأدب وسياسة وادارة ووظائف ومناصب الى غير ذلك وهذا تطرف من حضرتها لا نوافقها عليه أما (رواية الملك كورش) فهي من احسن

الروايات مغزى ومعنى غرامية تاريخية جمعت الفائدة والفكاهة في قرن وصورت قبح العبادة المجوسية وحسن الوحدانية ابدع تصوير وفيها سقوط دولة الماديين وحلول دولة الفرس محلها واستيلاء الملك كورش عليها وعلى مملكتي نينوى وبابل وانقراض هذين المملكتين العظيمتين واندماجهما في طي مملكة فارس كل ذلك كان بتأثير الغرام وفتك تلك الأجفان السقام بقلوب الملوك العظام وحبذا لو كانت فصول الرواية الأخيرة اكثر اسهاباً فإن بها ايجازاً مخلاً

وأما (رواية حسن العواقب) فتمثل عادات وحالات بعض عشائر جبل عامل في القرن الغابر وهي خير من كتب عنهم لأنها تربت بحجرهم وعرفت خلهم من خمرهم ويتخلل هذه الرواية الزاهرة شجاعة وانلية وشهامة عربية فنحث قراء مجلتنا على اقتناء هذه الرسائل والروايات المفيدة ونشكر السيدة زينب على هديتها النفيسة ونسأله سبحانه أن يكثر من امثال هذه الفاضلة بين ربات الحجال لكي ينفعن بآثارهن النساء والرجال ونسألها أن تزيدنا من آثارها النافعة وهي جديرة بالاجابة

وقد اهدت الينا بعد ذلك كتابها الدر المنثور مع رسالة نشرناها في المجلد نفسه صفحة ٣١٦ وها هي بنصها

«اني مرسلة لكم نسخة من كتاب الدر المنثور الذي لم يبق منه إلا ماندر فارجو قبولها ولكم الفضل

أما ما ذكرتموه من الانتقاد على طلبي رد حقوق المرأة فإني جعلته طلباً عمومياً وليس مختصاً بنساء الشرق ولم اتعدّ حقوق الشريعة ايها العزيز فارجو أن تمروا النظر مرة ثانية على الرسائل حتى يتبين لكم الغث من السمين

اما ما جال في فكر سيادتكم من أن المرأة لا تقدر على ابداء وظيفة الرجل فهذا غلط ايها الفاضل لأن نساء الغرب فقن الرجال بمراحل واما نحن فلا يمنعنا الحجاب عن الاشتغال باعمال الرجال!!

وقد ذكرته في احدى رسائلي ولولا أن الأطباء منعوني عن اشغال فكري بالكتابة لسبب ما ألم بعصب عيني اليسرى من التعب لكنت اظهرت لكم افكاري من هذا القبيل

واما اختصار رواية قورش فلكم فيها الحق لأني اجبرت على ذلك من ملتزمها فاختصرتها وحذفت الأشعار منها ولكن ندمت بعد طبعها من حيث لا ينفع الندم»

وكتبت معها هذه الأبيات التي نشرت في العدد نفسه صفحة ٢٨٩ بعنوان (قلعة تبنين)

ذكرتني ياصاحب العرفان ما لا أنساه من معالم أوطاني فنطق لساني مخاطبا لقلعة تبنين التي افنت الاجيال ولم يوثر على اسوارها الدهر فقلت

يا ايها الصرح ان الدمع منهمل　　فهل تعيد لنا يادهر من رحلوا
وهل بقي فيك من ينعى معي فتنة　　هم المقاديم في يوم الوغى الأول
قد كنت للدهر نورا يستضاء به　　اخنى عليك البلى ياايها الطلل
كم زينتك قدود الغيد رافلة　　بالعز تسمو ووجه الدهر مقتبل
ابكيك ياصرح كالورقاء نادبة　　شوقاً اليهم الى أن ينتهي الاجل
قد كنت مسقط رأسي في ربى وطني　　إن الدموع على الأوطان تنهمل
تبنين إن كنت في بعدي على حزن　　فاليوم يوم رجوعي القلب يشتعل
وقفت وقفة مشتاق به شغف　　علّي أرى اثراً يحيا به الأمل
اذ الأحبة قد سارت رحالهم　　فزاد شوقي كما قلّت بيَ الحيل
فالنفس شاكية والعين باكية　　والكبد دامية والقلب مشتعل
أعلى هيوسنت ابراجا لها عجب　　تصارع الدهر لا ضعف ولا ملل

وكانت كتبت الينا تعتذر لعدم مناصرتها العرفان بقلمها الداء عصبي ألمَّ بها فمنعها من العمل وفوجئنا بنعيها سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م قبل الحرب الكبرى بنصف سنة فنعيناها لقرائنا في المجلد الخامس صفحة ١٥٩

ورجحنا هناك أن سنها بلغ الستين والذي نظنه بلوغها السبعين من سنيها وجهلنا سنة مولدها وتفصيل نشأتها لنكتب ذلك على التحقيق

وبالاجمال فإن زينب فواز كانت في عصرها نسيجة وحدها وفريدة عصرها مع ما كان في كتبها وكتاباتها وشعرها من الاغلاط وهي تعد انبغ من باحثة البادية ومي لأنها وجدت في زمن لم يكن فيه للنبوغ النسائي العربي أثر فقد كتب يوسف حمدي بك يكن مقالة في مجلة المرأة المصرية لصاحبتها السيدة بلسم عبد الملك الراقية بمواضيعها وترتيبها – انه كان في فروق سنة ١٩٠٠ فقرا لثمانين كاتبة تركية كتابات راقية ولما عاد إلى مصر لم يسمع إلا باثنتين السيدة عائشة تيمور والسيدة زينب فواز ولم يذكر أن الأولى مصرية والثانية عاملية لأنه لم يعرف حقيقة امرها بل سمعنا أن بعض العامليين انفسهم ينكرون عليها نبوغها فيالله ولهذه الامة التي بلغ منها الجهل أن تنكر فضل فضلائها

امة قد فتّ في ساعدها　　بغضها الأهل وحب الغربا

وكانت رحمها الله صادقة الود حافظة للعهد فقد اعجب كامل بك الاسعد باحتفائها به ووفائها العجيب حينما عرج على مصر . ذهبت زينب فواز لسبيلها فمن نبغ بعدها من العامليات نبوغا ملأ الصحف والطوامير؟! لكن الفضل في نبوغها لمصر لا لعامل فأين اين العاملات والعاملون

ذهب الذين يعاش في اكنافهم　　وبقيت في خلف كجلد الأجرب

~~~~~~~~~~~~~~

العرفان، آذار ١٩٢٣، من صفحة ٤٥٥ إلى صفحة ٤٥٨
~~~~~~~~~~~~~~